



قرطاس

قرطاس

تأليف : عبد اللطيف الوراري

عدد الصفحات: (112)

القطع: (14.5 ♦ 22)

الناشر : دار كنعان

للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية

جميع الحقوق محفوظة

دمشق - ص.ب 443 تليفاكس: 2322116 (11 - 963 +)

E-mail: kanaan.said1@gmail.com

ISBN : 978-9933-659-35-6

يمكن متابعة إصدارات الدار على فيسبوك دار كنعان

الطبعة الأولى: 2022 / عدد النسخ 1000

الإخراج : القسم الفني دار كنعان للدراسات

الغلاف: باسم صباغ

الإشراف العام: سعيد البرغوثي

عبد اللطيف الوراري

قرطاس

سيرة شعرية

۱

سیول^{۲۹}

الشعر كما رأيته

بدا لي العصفور
وهو يتوارى في كبد السماء
مثل قَطْرَةٍ حَبْرٍ
تلتئمُ من أحد الكتب النفيسة
على دَرَجِ الأُحْزَانِ
أُقْلِبُ بَعَيْنِي فِي الْكِتَابِ
أَسْمَعُ أَصْوَاتًا
مَنْ حَفَقَ أَجْنَحَةً
تَمْتَزَجُ بِالْوَانِ الرِّيحِ .
أَنَا مُ
نُمَّ
يتراءى لي
العصفور
وقد تَزَوَّجَ الرِّيحُ أَيضًا .
لأن نَدْبَةَ الْحُبِّ
تَحْتَاجُ لَوْنًا ؛
لأنَّ النَّبَاتَ يريد أن يطلع لَيْلًا ،
سارت بي الأقدام إلى النَّهْرِ حيث حَالَتْ
غَابَةً بِأَكْمَلِهَا - حَجَرًا .
مَنْ نيرانٍ تشتعل
في زُؤَانِ الْحَقِيقَةِ اللَّامِعِ ،

تَضِيْعُ الأَوْرَاقِ مِثْلَ أَسْنَانِ القَرْشِ،
لَكِنَّ الكَلِمَاتِ تَعْلَقُ بِالأَجْنَحَةِ

وهي

إِلَى اليَوْمِ
تَدْخُرُ ضَوْءَ الشَّعْرِ.

أَفْرُكُ عَيْنِي وَعَلَّ
عَلَى الصَّفْحَةِ الأَوَّلَى
مَطْمُورَةً فِي أَسْفَلِ الدَّرَجِ،
ثُمَّ أَبْصَرَ

مِنْ آخِرِ النَّهَارِ
عُصْفُورًا أَسْوَدَ يَضْرِبُ بِجَنَاحَيْهِ:

إِنَّهُ قَصِيدَةٌ؛

إِنَّهُ بَرَكَةٌ نَمَلٍ.

سَرَقَةُ النَّارِ

مساكين هم الشعراء؛
ما إن يسمعوا بحريقٍ
في أقصى المدينة،
حتى يهرّولوا شبيهين بإطفائيين نبلاء.
ينطفئ الحريق،
وهم لم يصلوا بعد.

منذ أن سافروا،
أطلقوا ظلالَ مَقِيلِهِمْ
في كلِّ وادٍ.
تزوَّجت النارُ الظلالَ،
وغيضَ الماءِ.

الذي يومض وسط الرماد،
هو الشعر.

الذين وصلوا بأجنحةٍ محروقة،
هم سَرَقَةُ النار.

عاشوا بنوايا الإوز

غرفوا المياه
من قيعانٍ بعيدة،
ونسوا عليها وجوههم.

وجدوا أسماءهم
تحترق على سطح البحيرة؛
فقد عاشوا
قبل ذلك
بنوايا الإوز.

بشقّ الأنفس
يحرثون الأعماق،
ولا ينسون أن يردموا وراءهم
دربَ الغرّة.

على شفا ليل

شاهدوا الغروب،
فقضوا حياتهم مرتعين
من عطالة الذهب
في حجر الأبدية.

سرحوا بنظراتهم
وصولاً إلى بلد النيرفانا.

جنباً إلى جنب
مع خيال اللّمة
يمدّون ألسنتهم لليل،
وفي نيتهم أن يتعافوا.

من يثق في أقوالهم
ويأخذ عنهم،
وقد ضيعوا الأبدية
منذ الشهود الأول؛
أفردوا الأجنحة في ليل المعنى

الكنينة والنسيان

ها هم في الطريق
الذي ضحى بالكلام.
سكتوا عن كل شيء
إلا عن كلمة ظلت ترتجف على شفاههم.
والأرجح أن تكون الفراشة
التي طارت في البدء.
صانعو الخيمياء
الذين جابوا الصحراء
بلا رُقَى أو حدقات،
نسوا الرائحة.

حتى آخر سطر

الشُعراء أمثالُ هؤلاء وأولئك
سمعتُ أولهم يقول: "اتَّسعت الرؤيا"،
وآخرهم: "تسغني الكأس، ولا تسغني العبارة."
على الجادّات وصعيد الأكمام،
يشحذون الرُّوح
بشفراتٍ أقلَّ وميضاً،
لا يسكنون إلى البوارق
بعد انقشاع الغمِّ،
والى الحوادث الصّفراء
في إفادة الجنْدَرمة.
حتى آخر سطر،
تعنيهم تواريحُ الأنا من أسفل،
واللّعناتُ من أعلى.

الشعر سؤل لهم

منذ أن تآتأوا بالأصوات
ووزنوها بمكيال الحدس،
فهموا أنها رُقى لاستدرار النجوم،
ثم أنْهضوا لهذا الأمر ما في جُعبَتهم
من أشجار الزَّمن الأول.

في الفجر
فتحوا أعينهم على ذهب اليأس،
وسرَّحوا الأحلام في ورشة الأطفال:
ذلك القارب صندوق رسائل
والريحُ مسألة وقت.
المناديل التي تُلَوِّح بها الشَّمسُ
انحنوا لها بتثاؤب
وظلالهم
في طريقها إلى الإثمار
تزيد وتنقص
من ضربات اللّون.
قالوا: لما سمعوا من صفّ الأشجار قصصَ الإنسان:
سرق المجهولُ طعم الرائحة!
صفّقت العصافير بأجنحة طوال

وتلقّفوا عزيّفها اللّانهائي
في كتب الرّمّل
وفي كتب الإيقاع،
وهُم يشدّون التّجعيد
كلمةً كلمةً
في وجه الحياة الجهم،
ولا يَلْتَفَتون
-رغم مديونيّتهم الباهظة-
إلى السّلف.

على قُماش الهاوية،
رسموا أحافير بالزّعفران
وأخذوا ينفخون فيه
من عصب النّدم الذي أنشدهم للتوّ
سيرة السّرّاب.

حفروا قنوات للرّيّ،
وكُلّما ضاعت أقدامُهم في الطّميّ
وصلوا قصباتهم بهواء الدّكرى،
فوجدوا أمواتهم مازالوا على خير
يُطعمون الأمل لصغار الشّبوط الفضّيّ.

إلى آخر النّشيد؛
إلى آخر الشّفق،

ظَلُّوا بِلا عِناوِين
حَتَّى أَتَى اللَّيْلُ،
ثُمَّ نَامُوا بِسِتْرَاتٍ مَفْتُوحَةٍ
وَوَحْشَةٍ أَقْلٍ.

عُمِّيَانًا -

لَمْ يَرَوْا فِي الْأَحْلَامِ
سِوَى قَارِبٍ لِلْأَطْفَالِ
وَهُوَ يَنْتَشِرُ ذُرَّاتٍ،
ثُمَّ يَنْفَعِلُ بِالضَّوِّءِ مَكْمُوفًا
الْحَبْرُ الَّذِي فِي جَوْفِ الْبَحْرِ.
هَكَذَا،

وَضَعُوا الْعَالَمَ تَحْتَ تَصَرُّفِهِمْ بِالْمَجَانِ،
فَمَا يَعْنِيهِمْ
قَدْ سَكِرَ بِالْأَبْدِيَّةِ، وَنَامَ !

بريدٌ عاجلٌ إلى بدر شاكِر السِّيَّاب

مساء الخير، يا بَدْر.

اليومَ سألنا عنك في المدرسة،

سألنا البوَّاب والدُّكَّ والحوش الصَّغير والحساسين،

وكُنَّا نرتجف مذعورين من وحشة المكان،

فرفعنا أعيننا إلى السَّماء لئلاَّ يصيبك سوء.

لم ننبس بشيء على مقاعد الدَّرس،

لكن استغللنا الصَّمت في حصَّة الرِّسم

لنفصح عن الجليد الذي في أناملنا.

هل تصدِّق أنَّ بعضنا رسمك بلا عَيْنين،

والآخر استعار ريش الحمام بين صُدْغيك النَّاتئتين

حتى يتسقطَّ عريض الرُّؤيا

من المسافة التي استغرقت قدَميكَ بين النَّهر والرَّماد.

حين عودتنا، وجدنا وفيقةً تبكي،

وقد استطال شعرها من الشَّبَّاك حتى صار لَوْنًا من النَّبات :

أُم بدر ماتت؛ ماتت في الفجر.

تجمَّدنا في مكاننا، لأنَّ غناءً مثل هذا

نَقَّسَ عن حجرنا الكظيم.

استطالت أجسادنا النّحيّفة،

ثمّ ذابت في جذوع النّخل.

طوال صفّ الملائكة الذي لاصقَ شنّاشيل ابنة الجلبي،

نبتّ لنا من رَحِمِ الله أَجْنَحَةٌ

عليها بالذهبِ الكويّ

عيونُكَ التي نسينا أن نرسمها

على بريق الغابات.

عند الغروب،

كنت أسمع،

كلّما استطالّ البلاء،

إلى أغاني قاربِكَ المفخور

وهي تصعد بي الدّغل الذي في حلْمِ الشّبّاك.

رأيت السيّاب

يسند تلالاً من الملح وعيناه في الأسماك.

قال لي وهو يغطس رأس عصاه: انتظرتك منذ الفجر.

لم أشأ أن أخبره بالرّماد الذي وجدته في الطّريق،

وبالدّخان الذي كانت تنفثه الحروب.

أخذني من يدي،

وصعدنا معاً ماءً بويب الذي طفا بأسماك ميتة وصفحات كتب مجهولة،

ثمّ غبّنا في الأزرق.

ما لَمْ تَقْلُهُ لِي فَدَوِي طَوْقَان!

ها أنا أعود الآن إلى غرفتي في بيتنا القديم بنابلس
وأذرع الحشائش جيئةً وذهاباً .

ها أنا أشرف على خاصرة جبل جرزيم
حيث بذرة الأمل تذوب في عين الشمس .
أحدّق في هذا الصّخر الذي يطلّ عليه الشّبّاك المفتوح،
وأتسمّع إلى الأنهار التي وصلتني بالشّجرة والعصفور والغناء .
منذ رحلت أناي، وأنا أجلس وحدي هنا -

أصليّ للأيّام الماطرة
وأحفظ القصائد في الآبار على زيت مصباح خافت .
في كل إطرّاقة، مالت عليّ وهي تغالب رغبتها في البكاء، ولم تبك إلا مرّة
واحدة: حين انطفأ الماء بين أصابعها قبل وعد الفجر .
لقد تعبت عيناها من التّحديق في داخلي،
وكانت تتمرّق وتنفض كلماتها في جوف اللّيل:

"لماذا كلّ هذا يا إلهي؟!"

كنت أقود الأشباح بدلاً منها إلى طريق الجلجلة،
وأعود إليها بزهرة عبّاد الشمس التي تحبّها .
في نفسي أشياء، لكنّي أصمتُ
وأنكفئُ عليّ لأنّ ما أريد قوله تماوجت به المحيطات الصّاخبة وحمله
طائر الحداد إلى الله .

يهمّني أن أكنس المكان من البرد والظلمة والدخان،
ومن سعال السلالة والأنات التي خاصرت الجبل
قبل أن تقفو بروق الطائر.

انتظروا أن ينزاح الليل عن الألبوم
ورفعوا الأكفّ للغياب،

لكنّ الكأس المُرّة طفحت بالطوفان
وأصمّت عزفاً قديماً وأسوّاً به حزن الجدران.
الغالي عبد اللطيف،

وجدت رسالتك تنتظرني على الباب المغلق، ومعها الكتاب.
ما أغرب هذا! أذكر كلّ حرفٍ من الكتاب،
وأشعر بموسيقاه القاسية تتحدر إلى قراري من جديد .

أذكر الهمهمات التي دبّت من الجبل العائم
وأذابت الدوائر بين عينيّ.

يسعدني أن أسمع منك هذا؛

بلغت من الجمال حدّاً لا يُطاق.

إنّه فراغ موحش وأليم

أن يسقط القوسُ من يد صاحبتني

ويكسر طوق الصمت: ها ها ها!

أشكرك مرّةً أخرى،

ولا أعرف الرّمان الذي تستغرقه رسالةٌ بلسانٍ عربيّ

على ارتفاع بحرٍ متهاوٍ

يطمُّ بأفواه المجهول وأكواز الذرّة.

رسائل تحت تمثال الحرية

1.

(إلى صلاح فائق)

بوجهه المجهد الوقور
أسمعه يتحدث إليّ من آلاف السنين،
وأثر نبراته التي تتبين دفقها بسهولة
تترأى لك حقول مرجان وثيران مجنّحة وووديان تضطرم بالغبش.
قال لي: حياتي غمرتها الكلمات،
واستلّ من ديوانٍ معه
سلّة أسماكٍ لطفلٍ فقدته أمّه في إحدى المظاهرات،
قيل إنّها على الأرجح هلكت تحت الشّمس.
أخذ يُلقي كلماته في النّهر
وديعةً وديعةً،
فتلتّمع الصّدّفات من أبعد الأغوار،
ومن على وجهه نزول التّجاعيد
ويصفح الدّم الذي يدّخره إلى ليل آخر
للأكاذيب التي فُوِض بها الإنسان.
أنا لا أسمّي هذا شعراً،
بل حقلاً أسرار.

(إلى محمد بنطلحة)

أنا لا أذكرُ السَّاعةَ التي أشرقَتْ فيها

بين ظهرانينا

كلمةُ اللَّيْلِ.

كُنَّا مندفعين من صفاقة الواجب،

ومُعاوني يأس

آخر النَّهار

نتلف سيقاننا

ونلقي بصفَّارات الإنذار في خَشْخشة القشِّ،

ثم نشفط الصُّفْرة.

نمورُ كثيرةٌ تتعقَّب الخطوط التي نتركها وراءنا

عن طيب خاطر،

لا ينقذنا منها إلاَّ برق الغابة

وبضْع ريشاتٍ لطائر القطرس.

كان حُلْمًا خاطفًا كما أتذكرُ

سنقضي سُوَّيعاتٍ ما زالت طويلةً

حتى نُفِيق منه على عطالة الذهب.

لون التراب هو الذي أملى علينا ذلك،

وولولة البجع أيضًا.

3.

(إلى نور الدين الزويتني)

الماء الذي يسيل من صندوق بريد

في ركن معتم

هل هو للرسائل التي بقيت وعداً في الجدران

وأمام سكك الحديد ورُقَى الشَّحَّاذِينَ؟

أسرابٌ كثيرةٌ حلَّقتْ فوق بناية البلدية،

وهي تصفّر بلا هواده،

ستحمل الرِّيحُ

ريشها المضرّجَ أوّلَ الفجر.

بالظلال التي في الجوار

لغابةٍ غير مرئية،

يهتدي بحارّةٍ وأولو عَزَمَ،

ويدفعون إلى الأمام

عربات المؤن السريعة.

ما زال الصندوق يسقي

انحناءة الدّم،

والرّسالة هي الرّسالة.

الزّبد

أيها الوعد المتغصّن،
وتلك الأقمّار التي تُعفّر وجهها في فضلات الدّم،
فيمَ تنفّلك شهادة يائس على عصر مظلّم؟
أنا لا أرتجف من البرد،
ولكن ثمة أصوات بالغناء المبحوح المتقطّع
لا أعرف مصدرها
تأخذني من يدي إلى غيوم على نهر ميّت.
سمعتُ من الذين مرّوا قبلي
ويَمّموا شطر السّديم
رافعين أصابع نصر مجذومة،
أنّ الكلمة في عصر الطّواغيت
ما أكثر شهداءها
حيث أسراب الرّمح
تلحق الخناجر المسمومة،
والزّبد المُدْمَى
على الشّاطئ الحجريّ
يتهادى بالرّيش والكلمات.
أيها الوعد المتغصّن،
يا زهر البحيرات الميّتة
في القرن الواحد والعشرين.

Et la poésie coule

كم قنينة نبيدٍ أفرغ رامبو
حتى يسكر قاربه؟
أي نوعٍ من السّماء الذي بذره بودلير
لتنبت أزهار الشرّ؟
وأي يدٍ هذه التي استعملها مالاّرمي
في كلّ ضربة نرد؟
هل صحيح أنّ ميشونيك
صلّب بالإيقاع
حين كانت الأرض
تسيلُ بالدمّ والغناء؟

..

أَسْمِينِي شَاعِرًا بِالْجُوعِ

الاعتراف ما قبل الأخير

لست شاعراً؛
أنا رجلٌ سيءٌ وحادٌ الطَّبَاع
لأتفه الأسباب أخاصم النَّاس الذين حولي،
وأضطرُّ إلى أن أهتك أعراضهم وأتهمهم بالباطل
وسط قهقهات التَّوَكَّى وذوي السَّوابق ومصاصي رحيق الكلمات.
حتَّى من أدين لهم بكلِّ شيء
أنكر جميلهم وأبخس أفضالهم عليّ.
لا أعرف من قاد واحداً مثلي إلى الشَّعر،
بقي يكذب عليه بكلمات صمَّاء كل هذا الوقت.
الشَّعر مسكين لا لسان له،
لا سكَّين بحوزته ليتخلَّص من قاطع طريق مزعج،
ثمَّ ماذا في وَسْع المجاز أن يفعل
أمام إمعة بنياشين مسروقة.
أنا مجرد لصٍّ،
سطوت على تركة أجمل شعراء الأرض الذين أنفقوا ثمراً طويلاً
كَيَ يُسَلِّمُوا على شجرة الحياة
ويقولوا للعصافير والزَّهور والذِّكريات التي تتفتَّح مع الشَّمْس:
صباح الخير، أيُّها العالم.
رشوت شرطة الأنتربول

وساومت جمعيات النقاد أصحاب النظارات الغليظة
وقايضت أدوات تفكيكهم ما بعد الحداثي
بإيرادات المبيعات من مؤسسات الإعاقة
ووضعت أعدائي المحتملين تحت الإقامة الاختيارية.
أنا مجرد لص،

لصّ خطير للغاية متواطئ مع النظام العربي
أهدد أمن العالم وأركل تحته بزعيق دعاوي القيامية،
ولا أشعر بالخزي أو أندم على ما كان مني.
لا أعرف ماذا تحكي لي الأخلاق
ونواميس الطبيعة طوال النهار،

من أجل أن أتعظ وأرعوي عن حركات أصبعي المسوخة؛
لأنّي بلا ضمير.

ما إن يقدم الليل الذي بلا نجوم ولا كوى نور
حتى تطول أظفاري وأشفار دماجلي وذوائب شعري
وثوبي الذي يجرّ ذنوبي مع التراب يطول بدوره.
هكذا - شاعراً بجوع الأزمنة الرمادية،

أتخبّط في الكوابيس

وأحسب السماء دواصة بنزين

نحترق في جوفها كيانات لا أسماء لها،

وتتلوى آلاف القصائد المبحوحة

وأسراب الزمّج البيضاء تحت الرّماح الصّدئة.

أنا مجرد لص،

مجرد قاموس قميء لا ضوء له

يريد أن ينفذ بجلده

من نار الكلمة وحزن العالم.

ذلك البعيد... صوّتي

كلّما فتحتُ كتاباً، هممتُ مع نفسي بصوتٍ غير مفهوم.
أنا مريض اللغة.

تصوّروا أن خطأً إملائياً يمكن أن يورثني الكآبة ساعات،
وقد أصاب بالاختناق إذا وجدت النصّ عارياً من الشّكل،
وغياب فاصلة القطع من النصّ يُفقدني التّوازن إذ أقف،
ونقط الحذف تنهياً لي شبيهةً بحاويات منتنة في قارعة الطّريق.

أحبُّ من اللغة اللّغات في أدب الأطفال،
والجمل القصيرة المطرّزة في نصّ حكائي،
والتكرار الذي يعبر القصيدة لأنّه يعطي للفراغ شكل عافية،
والهمهمات التي تندُّ عن حوارٍ بين الشّخص ونفسه،
فهى -الحقّ أقوله- مأوى الكينونة الضّائعة.

وحركات الشّدّة التي مثل تويّجات بليلة تنوّس وسط دغل،
أحبُّ أن تأخذني من يدي في نزهة

لأنقرج على الأحرّاش والشّعاب التي تنفث بخار الفجر.
لا أحبُّ الزّوائد والمساحيق والبثور التي على وجه الصّفحة
فليس هناك أقبح من سحب برّاقة على نهر ميّت!
والحشو الذي بلا معنى لا أحبه،
والمعنى نفسه.

أكره فيّ القارئَ الوحيدَ

الذي يقيس أرض المفاجآت بالآحاد،

ويقول: "هذا لي.. وهذا لك".

مثل هذا القارئ يصيب الكلمات بمغص شديد

ويصيب نداءها البعيد بأعراض القولون العصبيّ.

أنا لا أقرأ وحسب؛

أنا أقرأ وأطير في أن،

فيتراءى لي الآتي الذي ضاع منّي،

فأتعلّق بالحبّال.

كلمةً في إثر كلمة،

أستعيد صوتي بالتّقسيم،

قبل أن أصل إلى الشّاهدة

وهي في عينيّ ترعى

من ذاكرة الحشائش،

ولا تتقُ بالرمّاد.

أتركُ الحلمَ مَفْتُوحًا

الأنفاسَ على صفيح بارد

كتب الشعر

لأنَّ السَّماءَ

في ذلك الصِّباح الباكر

لاحت رماديّة

وكانت آخر نجمة

تذوب في تَوَيَّجات عبّاد الشَّمس

جوار المقبرة

لم يكن في وسع طيورٍ بمناقير صفراء

أن تُلْقِط الحَبَّ إلى أعلى القمم.

قال: أكتب،

وعليّ -قبل ذلك- أن أبري صوتي بِشَافَةِ عموديّةٍ،

وأبذر في أرض القصيدة أصدااء الوادي القديم،

ثم أدع الباب مفتوحاً على مصراعَيْهَا للرّوائح والصّرخات

ونداءات الباعة.

سمعته يقول ذلك، مراراً.

أحياناً لجدارٍ يميل عليه بمذكّرات باهتة،

وأخرى لحشدٍ من الهواء بشيء من التّأتأة.

يقول: "أنا ذاك الزَّيد، إذا لم يَخْنِي النِّسيان".
في نيتي أن ألتصِّص عليه عند منتصف الليل،
فلا يعقل أن يظلَّ المرء بلا ظلٍّ
إلى هذا النَّهار.

مع ذلك، كان يفرك رأس عصاه بعزم،
بل يعقد ما بين حاجبيه
وهو يبسط ملاءته على أكوام القشِّ
كأيِّ مزارع بهت العرق من كُـمِّ بدلته الكاكية،
وشعره منسدلٌ إلى منكبيه.
خذلني النَّومُ،

حتَّى فزعت على وقع حوافر تقتحم الغرفة
وفي أثرها طفلاً مجنَّحاً
يهشُّ على الحيوانات
بذؤابة شعر طويلة.
هذه -أيضاً- أمثلة،
أمَّا الذي ظلَّ يكتب
حتَّى الصِّباح الباكر
من عين عبَّاد الشَّمس
هو ذاك الحلم معكوساً
على ألواح الشَّعر التي تحترق
نجمَةً
على غناء جمّة.

شعر القسوة

ما أقساك أيها الشَّعر؛
لم تأخذك رافةً باللغة!

عندما يسألون فيَّ،
أقول لهم: إنِّي بخير،
إلَّا مزاجك أيُّها الشَّعر،
فهو عبءٌ عليّ.

ظَلَّت الدَّسائير تظلم الشُّعراء بنسيانهم.
لكن، أيُّها الدَّستور المنبوذ،
نسوا أنَّك ألحقتهم
بذوي الاحتياجات الخاصَّة!

شكراً جزيلاً لك،
أيُّها الشَّعر؛
فقد شغلتنا عنَّا.

الشَّعر،
في نهاية المطاف،
قد حصل بالخطأ..

للشَّعر ما أعطى،
وللشَّعر ما أخذ!

Chaos

السُّحْبُ البيضاء
وهي تتناثر مثل نُدف القطن
كنت أراها في صباي وأضحك.
أين تقودني الآن
في حافلة تتهاذى بين الجبال؟
كأنِّي أَسْتَيْقِظُ من حلم
على أسطر باهتة
من كتاب العدم.

المياه تضحك من وجه أمي

البستان الذي طالعتهُ أول مرّة وبكيت،

لأُتي سأحتاج صبر الغيم لفكّ شفراته،

هو وجه أمي.

الضوء الذي أشرق في ذلك الزّمن السّحيق،

وتدفّق منه نهر العسل ولم أشرب منه،

لأنّ فروج أصابعي الرّخوة خانتني،

هو وجه أمي.

الضّبابُ الذي كان وجه الله

ثم تفرّق أيادي سبأ

في أنحاء اللّغة،

هو وجه أمي.

أنا لا أَلعب باللّغة في سيرك الجثث،

ولا تغريني على الإطلاق

دعاوى النّص المفتوح.

يكفي أن تلمح الهالات السّوداء تحت عينيّ

لتدرك -ببساطة- حجم الخسارات التي دفعتها

لعلوم السّحر والسّيمياء،

وشكل طواحين الهواء التي حاربَتْها زاحفًا،

من أجل أن يشرق في ليلي
وجه أمي،

ويتفتّح بالأزهار التي أعرى فيها
إذا تأخّر المطر
أكثر من اللازم.

هذا الشعر الذي أكتبه بأنانيّة ميؤوس منها،
لا قبل له بمطالب كلبي المعتوهة،
فوجه أمي لا يريد محتالاً مثله
يُزيّن في عيون الناس تفاهة الزُرقة،
بل طفلاً يائساً مثل حبر أبي العلاء
وغناءً جارفاً يترنّح بسعفات النّخل
على رؤوس الأشهاد:

أمي من قبيلة الأنهار
التي سقت مائدة العشاء الأخير،
ونسبٌ وجّهها الغائم
يصل بالتواتر إلى الطوفان.

أين تذهب الأمطار وقت الانقطاع؟

عندما تتشقق السّماء بالغيوم
وهي تركض مثل أحصنة في منحدر فاغر فاه،
تحضنني أمّي،
ثم حضنتني أنا وأبنائي.
سمعتها تقول لهم إنّ حبيبكم الذي لم تروّه هذا العام
يحتفي بميلاده الخمسين.
أبي ابن السّماء الهتون،
ولد عام ألف وتسعمائة وسبعة وأربعين
في ظلّ أشواك الصُّبار
بين ترعتيّ ماءٍ.
الذي ذاب في صرخته دويّ الرّعد
وأضاء غُرّته رفيفُ البرق،
هبط المنحدرَ وعيناه في الله.
السّنّوات العشرون التي ولّت
بلا موسيقى وتعازيم في جوف اللّيل،
لا تدخلها أمّي في حسابه؛
إنها تدّخرها لحسابها الخاصّ
المسفوح بالدموع والآهات المحمومة،

ولا دخل للحرب فيها.

حين تخفُّ داخلها أصوات الحجر،

تسرُّ إلى نفسها:

"هذا السَّفَح ليس حقل ذُرَّة".

يشقُّ علي أن أتخيَّل أحبائي

الذين سافروا في التُّراب؛

فأبي -مثلاً- سيظهر وفي يده فواكه جافَّة طلبتها منه في آخر لقاء،

وربما -تحبباً إليّ- رمى في حجري بيانو من الخشب، فأسمع الأشجار

التي ادَّخرتها لعينيه حتَّى هذا الليل.

وأختي التي ماتت قبل أن نولد، تتهجَّى أسماءنا على صرير الباب.

وجدِّي من أُمِّي سيعود مُحَمَّلًا بأصداف التَّرع التي حوَّلها مجراها إلى

بستانٍ جوار المقبرة، وفي إثره الشَّاةُ عائشة تضع في عروة فَرَّوها الغامق

وَرَدَّةٌ كَالِدِهَانِ..

يسبقني عمى الخُلبان

لم أشأ أن أنام
حتى أراك تدخل وأردّ عليك السّلام،
وتجلس معي القرفصاء
أمام شاشةٍ بائتةٍ
وكتبُ ترتعد من برد الكلمات
وسقف يتموّج بالطّيور التي في روعي،
ثمّ نهض سويّاً للأحلام
بمكنسة طويلة
ومناشف نسيان مدبّبة؛
لأنّ أكوام الرّماد التي ألقت بها الألسنة
في آخر النّهار،
وبُقِع الصّرخة التي وُجدت تحت الجثث،
والتّمائيل الصّلدة بين الوديان
ستحجب النّور
في ذاكرة الإنسان.
أيّها الوطن،
صباح الخير
بكل اللّغات المتفحّمة التي ورثتها عن سنامك.

معذرةً مالم تجد على الطاولة
أنخاب السهرة ومستملحات الفستق .
مالم تسمعني أغنّي لأطفالي قبل أن يناموا،
إلّا بصوت متهدّج.
أنا أتيتُ إلى البيت مُبكِّراً،
وعلى ملابس عملي أصابعُ متعرّقة.
لم يكن في مقدوري أن أحمل مؤونةً
أكثر من هذه التّواريخ.
كان بوّدي - أيّها الوطن،
أن تنضمّ إلى جلستنا الصّغيرة التي انفضّت قبل برهة،
فكلّ من تكلم ذكرك بخير،
وترامت أطراف شهوته إلى الخارج:
عبد الله يحلم بجناحيّ دوريّ ليشرب من قوس قزح،
والشّفاء عدلت عن فكرة الشّعر
واستبدلت بها صفصافةً تكبر بلا عقد،
وريّان لا يُفكّر بجدّ إلّا في المسافة
التي بين فرجتي ضوء.
لو رأيّتهم كيف كانوا يرقصون ويحلمون وقوفاً،
لأخذت بيد كلّ منهم إلى كتابه على المخذة
ورجعت إلينا بأحلامهم أنخاباً نتعاطاها إلى الفجر.
أيّها الوطن البعيد،
أنا ظمآن؛

بداخلي عَمَى الخُلُجَان.
لَا تُحَاكِمُ هَذِهِ الْأَحْلَامُ الَّتِي وَجَدْتُهَا
بِأَثَرِ رَجْعِي،
وَبَارِكْهَا عَلَى خَطَى مَنْبُودِينَ سَيِّئِي الطَّلَاعِ.
رَجَاءً،
أَمْسِكْ مَعِي
رَأْسَ الْخَيْطِ
مَنْ يَدِ اللَّيْلِ،
فَقَدْ يَضِيعُ مِنِّي
أَوَّلُ الشَّرَارَةِ،
وَتَسْتَفْجِلُ مِنْ صَدَى الْغَابَةِ
سَمَاحَةُ السَّلَالِ.

تلويحة من الأسفل

جنَّ اللَّيْلُ
وصار في وسعه أن يُقَلِّبَ عينيه في بخار الغابات،
ويقول بأنَّ حافظ الغياب
ليس سوى ترعة
في طريق الدُموع.

كنت أقول مع نفسي:
إذا تأخَّر البريد أكثر من اللازم
سأبعث من يبحث لي
في بطن البحر
عن قناني شاعرٍ حيٍّ.

إلى الآن،
أشكُّ في مسيلٍ بلا حصي
وأصداف ورسائلٍ منسيّة.
لهذا، كلّما تذكّرتُ أغاني الصيادين
سمعتُ من يهتف بي: قفا نضحك!

أرفع ستائر الغرفة في الظلام
وأظلُّ أهدق في أبعد نقطة.
قد يكون هو القارب الذي يُلقون منه الرسائل
وأنا هنا أنتظرها
بمذراة طويلة وذاكرة بلا صفيّر.

أنام..
تحت وسادتي وضعتُ أجنحةً بيضاء،
وفي نيتي أن أندس كعميلٍ بين الحيتان
حتّى لا أقرار،
وألوح للقمر النعسان وقصص "كان يا ما كان"
بقميصي الذي عليه دُمُ النّجمات.

صانع الإطارات

سئمت من الكلمات.
من مجازها الذي هرش أطراف اليد،
ودبّ في الأودية مع السّام.
هل هذا نايب القصب أم قرن وعل؟
ما أنفخ إلّا في اللّهب ويرجع إليّ بردان
مثل عزف قديم
يبعثر قصاصات أيّامي،
وفي الرّوح يحدث صدوعاً
حيث تتردّد أغاني اللّيل
من كوى القمر،
وبعدها فلّتسترخ مجرّة الأرق.
قلت أفتح ورشةً لصناعة الإطارات
للصّور التي نحتّها عبر الكلمات
وبقيت عالقةً بذاكرة الشّوك.
كنت آخذ كلّ صورة
وأسحب بعضاً من نخاعها
حتى يتفشّى مرض النّسيان في أطرافها.
أريدها أن تحيا الموت بصورة أفضل.

أَضَعِ النُّخَاعَ فِي ثَلَاثَةِ
وَأَظْلٍ أَرْقَبِ إِحْدَى النِّجْمَاتِ بِتَهْكُمِ
إِلَى أَنْ يَجْفَ وَيَأْخُذَ الْإِطَارَ شَكْلَ زَلْزَالِ.
مَنْ حَسَنَ الْحِظَّ أَنْ الْعِلَاجَ الْيَدَوِيَّ
لَمْ تَصْحَبْهُ الْقِصَّةُ الْمَأْلُوفَةُ كَالْهَذْيَانِ وَنَحْوِهِ،
وَلَا أَعْقَبَهُ نَوَاحُ نَخْلَةٍ مِنْ آخِرِ الشَّارِعِ.
هَآ نَحْنُ مَعًا نَنْتَظِرُ وَنَضْرِعُ إِلَى اللَّهِ
أَنْ يَرْفَعَ عَنْهَا هَذَا الْبَلَاءُ؛
عَنِ الْأَشْجَارِ الَّتِي تَتَفَوَّهُ
طَوَالَ الْمَرِّ الْمَمْطُوطِ
وَتَتَشَفَّى فِي عُبُورِ غِيَمَاتِ
عَلَى جَسْرِ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْخَشَبِ،
لَكِنَّهُ مَعْلَقٌ بَيْنَ كَوْعَيِّ بَيْتِ
مِنَ الْهَتَافِ وَالْدَّمَامِلِ.

حلم صيف في القاهرة

ما إن حملت رأسي إلى الوسادة،
لم يخطرُ ببالي أن أسمع
من على الشُرَفات التي نبتت ليلاً
خريراً لودائع منسيّة؛
خريراً يؤذي في الصَّميم؛
خريراً يهبط الدَّرجات التي استباحها المزاج العامُّ
إلى أسفل المجاري حيث تُصنّع القواربُ
في عين الواجب
وتموت على دين الحبّ.

لم أشأ أن أنبس بشيء،
ولّا نهض إليّ الموتى بين التّثنيات
وقطعوا وتري الرّخو،
ودسّوا في السّم كأس حياتي.

هل النّهر عميقٌ إلى هذا الجذب
ليصقل الحصى ندباتي،
وعليه يرقش بالرّيش الزّيّتي وجهي؟

بمحض الصدفة،
نسييت الباب مُوارباً ليعزف ما يريده بألوان اللَّيْلِ
احتياطي السَّريرة من الضَّوء.

بدل الرِّيح التي من جوع،
يدلف حشدٌ يلعب بالدُّخان
ويتهمني على الملا بأسماء الغرق.
بعضهم أشار عليّ بالأمس،
فقد يكون التَّوْب مشدوداً
بأزراره السَّبعة
إلى بقعة الدَّم!

على حين غرّة،
قالت اللُّوحة التي حولي بأنّها لا تذكر شيئاً
عن إطار الهواء الذي ذاب في سمك الدَّائرة،
وأنّ التجاويف باللُّون الأحمر هي أورام نهر قديم.

بين قمر وآخر،
كنت أشرَّبُ على خَوْفٍ
إلى الذَّنْب الذي يعوي ويحلم بدلاً منّي،
ثمّ يدفع إليّ بأقمصة مرضى العصر وجُباة الخرائب.

لا أعرف من نادى عليّ بِاسْمِ ثَانٍ

فَنزَلْتُ مَلْهُوفاً إِلَى مَفْتَرَقِ الطُّرُقِ

حيث ينتصب طلعت حرب مع جذع جوز مقطوع.

وجدت سيولاً تتموّجُ بسفن رصاصيّة تنقل

أحجاراً وقطيع بهائم وعيداناً من خشب الأرزّ

وصرعى الكوليرا،

وفي أثرها رفع جوّ الشُعراء عقيرته

بصدى الفجاج البعيدة.

من "كافيه ريش" يساراً،

شُوهِدَ أحد المشاهير - لا أذكر اسمه الآن - يتأبّط مُعلّقاتٍ

ويكيل السَّبَاب لشاعر الجندول،

ولا يرعوي أن يذكر سبارتاكوس بكلماته المأجورة.

وقيل لي إنَّ آرثور رامبو منذ الفجر،

يخطب في مُسلّحين بصبر متأجّج

على أبواب القاهرة.

وأحياناً، كفافيس في برابرة بأذنان مُسنّنة.

لا أفهم لم يحدث كلُّ هذا السَّحاب

على سُلّم الأوبرا،

لا سيّما أن الشمس لم تأفل بعدُ،

ولا أبرق الله مُزارعي الصَّعيد

بشأن العلف المُهرَّب.

لم يطلّ بي الوقت كثيراً
عندما تراءى لي النَّهْرُ يُلقِي على جانبيه
بالودائع والحصى والأغنيات،
ويحمل لي الذي نفسي فيه؛
أن أتلّف الوتر
وأنام بلا نيّةٍ في ترجيع الصّدَى الذي يأتي
من ثنّيات الباب الموارب.

فصلٌ هزليٌّ من كتابِ أمّور

كنت أرقب نجمةً
قريبةً من رأس الجبل
العائم بالنظرات المبلولة
بندى الفجر الذي يطفر من أبعد الأغوار.
تتبعُها شيئاً فشيئاً
وهي تزحف مثل حلزون حائر
من الحنين الذي أحدثه له
صفيّر القطارات طوال اللّيل،
حتى وجدتُ نفسي
وجهاً لوجه
في مرآكش.
أنا الآن
أشرح الأمر لعينيّ الزائغتين بلا طائل،
ولعابرين من باب دُكّالة
أعجب كيف لا يُصدّقون
جبلاً عائماً تحت خدر الأحلام.
أنا أقول لهم: "هذا أوان الحصاد"،
وهم يدحرجون الفضّة في مكبّ الغرانيت

ويعبثون بمفاتيح الأدراج التي في يد الطّاعون.

أنتظر

واقفاً

حتّى

يمرّ

عليّ

وقّتُ الغروب.

الساعات

بحيرات اللّيل

من قلبي

تُسمعني غناء النجوم المغدورة،

وقيل التي انعكست على ماء آسن.

تترأى أطياف أشخاص أعرفهم،

وهم جلوسٌ على مصطبة النسيان.

طيف أبي يتقدّم نحوي وهو يومئ إلى بركة نمل مهجورة:

كانت لنا بئر تضحّ المعزوفات في حديقة نعام،

وتُتأتّى في ليالي الشتاء،

ثمّ انتابها عيٌّ من صداد الأحبال الصوتية.

يقطع الصّوت نباح كلب،

فلا أعاود أفكر بجديّة في حركة الظلال.

لكن ليس صحيحاً ما يتناهى إليّ

من ساعة حائط متداعٍ

حيث المياه الخائفة تسيل بالأجواخ

ولا تترك لي الفرصة لعمل أيّ شيء.

أعودُ إلى البحيرات الطافية

وفي نفسي أن أنفقها

فِي غِيْمَةٍ عَلَى وَزْنِ الْخَبَبِ.
بِلا مَزَاجٍ،
أَمْسَحْ بِكُمِّي دُزِينَاتِ الْعِرْقِ
وَأَخْلَطِ الْأَرْقَ بِالزَّعْفَرَانِ،
فِيْمَا أَنَا أَسْمَعُ الْمَوْسِيقَى عَلَى الْأَرْجَحِ.
أَحْيَانًا أَنْظُرُ فِي سَاعَةِ قَلْبِي،
وَشَيْئًا فَشَيْئًا لَا أُصَدِّقُ حِكَايَةَ الْمَرَاةِ
وَهِيَ تَتَمَوَّجُ بِأَقْوَالِي
فِي جَوْفِ اللَّيْلِ.

III

يَصْقِلُونَ ظِلَالِ الْكَلِمَاتِ

لماذا أكره قصيدة النثر؟

عدتُ من الجنوب بأقلّ الخسائر،
مُنْدىً بين غيوم مكفهرّة لم تمطر،
ووسط مهاجرين أفارقة وصلوا للتوّ من بحيرات الصّحراء الكبرى.
وجدتُ معظم أترابي الذين تركتهم في عام العسرة
قد أدمنوا السّهر والورق المقوّ بعيونٍ مُقرّحةٍ،
وصاروا قصار القامة
بالكاد ينظرون إلى غيمات الصّبّاح من طريق مجهول،
وإلى متلاشيات أوروبا التي تطلُّ برأسها
من سطح الجار المهاجر
مثلما تطلُّ باريز من رحلة رفاة الطّهطاوي.
في أوّل اليوم راعني أن يتدافعوا بالمناكب
إلى مُقدّمة نشرة الجوّ،
بل سمعت من بعضهم أنّ هذا هو الأوان.
راعني أن أجد حولهم ورق الأوكاليبتوس
وعليه أسماء عشيقاتهم اللّائي متن في عرض البحر
وقلوب الحبّ تنزف بلا تاريخ.
ظلّوا ساهمين يعبثون بالمفاتيح
ويطالعون بتهكّم حركة النّمل منحدرًا من كُوّة القشّ.

لكن راعني أن يمشوا بلا ظلال
بمحاذاة الأشجار وبخار الأتربة،
ونظراتهم تلعب بها مياه الأعماق الدّاكنة.
إذا جنّ اللّيل أخرجوا من تحت معاطفهم
مُدَيَاتٍ تَبْرُقُ في عيون الخوف،
وأعادوها مضرّجة بآفات الرّمْل.
أُخْمِنُ أن شَيْئاً ما خطيراً أفسد عليهم سيرتهم الأولى
ومدّد في أعمارهم بلا رحمة،
حتّى سمعت من بعضهم كلاماً
باسم محمد الماغوط،
وقصاصات نشر
بأسماء ملاعين مغمورين،
ورأيت بعضهم على حلبة سيرك
يعرض فنونه القتاليّة
ويخرج من قبّعته ألعاب مكعّبات وأفاعٍ ومعجم الطلّاب الميسّر،
وإذا اشتدّ التّصفيق أطلق في الهواء ندف ثلج ومفرقات صينيّة.
أترابي الرّومانسيّون الذين حفظوا الأعاريض عن ظهر قلب، وأحبّوا
المهجريّين، وانتهى نسبهم إلى أبي القاسم الشّابي وقمر الصّحراء
الذي أضاء عواطفهم الجيّاشة في عواء الذّئب، شرّدتهم قصيدة النّثر
وقعدت بهم مثل لاجئين أفارقة تحت إشارات المرور.
لقد صاروا قصّاراً أكثر من الواجب،
وفي نيّتهم أن الوتر الكسلان أبعد من أن تصل إليه بحّة الزّمن الضّائع.

الشعر ليس موهبة

كي تكتب العمودي،
يلزمك عمل البنّائين في يوم مطير.
كي تكتب التفعيلي،
تحتاج إلى أذن خطيّة لقياس ارتدادات الجبهة.
كي تكتب قصيدة مدوّرة،
انسَ نفسك في صهريج بلا تنفّس.
كي تكتب قصيدة النثر،
من المهمّ أن تعزف الكُريّات على حبل الوريد.
كي تكتب الومضة،
تسدل عليك الستائر في الهواء الطّلق.
كي تكتب الشذّرة،
اضمّم إليك يدك بقوّة.
كي تكتب الهايكو،
تنظر إلى المرتفعات من عين طائر.
كي تكتب الشعر الخالص،
تخلص من عقدة نقاء النّوع.

أن تزدرد الجوع

نحن الطَّارئين ثَقِيلِي الظِّلِّ
قد تَطَلَّبَ مِنَّا الأَمْرَ وَقَتًا نَزَجِيهِ عَلَى العِرْقِ
مَعَ مُطَوَّلَاتِ القِدَامِي وَأَفَانِينَ مُحَدِّثِيهِمْ مِنْ شِعْرَاءِ الشَّرْقِ وَالْفَرَنْجَةِ،
وَتَمَرَّنًا بِجَدٍّ -كَأَنَّنا نَحْفِرُ مَنَاجِمَ الذَّهَبِ- عَلَى العُرُوضِ
وَوَرَثْنَا أَعْطَابًا فِي النَفْسِ
وَبَسَاتِينَ مُحْتَرَقَةً عَلَى الذَّاكِرَةِ،
كِي نَقُولَ أَوْهَامًا كَثِيرَةً
بِدَاعِي أَنَّهَا شَعْرٌ.
أَمَامَ وَلَدِي عَبْدِ اللَّهِ
بَانَتْ عَوْرَتِي
وَوَخَارَ مَدَادُ حَرِّي فِي
عَلَى نَحْلَةٍ تَطْنُ مِنْ شَعْرِهِ؛
فَقَدْ صَارَ يَقُولُ شَعْرًا مُخْتَلَفًا لِبَسَاطَتِهِ الْمَدْهَشَةِ،
مَنْذُ أَنْ أَدْمَنَ أَفْلَامَ الْكَرْتُونِ
وَحَيَوَانَاتِ نَاشِيُونَالِ جِيُوغَرَفِيكَ
وَقَصَصَ مُحَمَّدَ إِبْرَاهِيمَ بُوَعْلُو
وَتَوَّورَاتِ (سَالِي) حَائِلَةِ اللَّوْنِ.
عَبْدُ اللَّهِ لَا يَعْرِفُ أَنَّ هَذَا أَسْمَهُ شَعْرٍ،

وَأَنَّ النَّاسَ فِيهِ حَيَارَى مِنْذَ الْقَدِيمِ،
لَكِنْ يَجِدُ فِيهِ لَذَّةً
وَهُوَ يَزْدَرِدُهُ سَائِعًا مَعَ الطَّعَامِ
وَيَرْسُمُهُ بِأَلْوَانِ الْعَاطِفَةِ الَّتِي وَرَدَتْ عَلَيْهِ لِلتَّوَّ
وَنَبَتَتْ كَمَا يَنْبَغِي لِشَجَرَةٍ مَزْرُكْشَةَ أَنْ تَتَزَيَّنَ لِشَعْبٍ مُشَرَّدٍ .
هُوَ يَبْسُمُ فِي وَجْهِهِ،
وَأَنَا أَعْبَسُ فِي وَجْهِهِ .
هُوَ يَشِيرُ إِلَى ضَوْءِ النَّافِذَةِ، وَيَعْنِي بِهَجَةِ النَّهَارِ .
أَنَا أُحْدَقُ فِي الْفَرَاغِ، وَأُكْثِّي بِهِ عَنْ نَهَايَةِ الْعَالَمِ .
هُوَ يَنْتَشِي بِالْمَوْسِيقَى الَّتِي تَنْتَاهِي إِلَيْهِ،
وَأَنَا أَتَدَاعَى مِنْ آلَةِ صَقْلِ الرُّخَامِ .
هُوَ فِي الْبَيْتِ يَطِيرُ بِأَطْرَافِ قَدَمِيهِ، وَأَنَا أَمْلُؤُهُ بِأَقْدَامِ التَّفَاعِيلِ .
نَنْظُرُ مَعًا فِي الْمَرَاةِ؛
تَسْطَعُ مِنْ جِهَتِهِ أَجْنَحَةُ الْمَاءِ
وَمِنْ جِهَتِي تَنْشَطُّ أَثْلَامًا وَعَرَاجِينَ طِينٍ .
يَجْمَعُنِي مِنْ عَلَى الْأَرْضِ
وَيَطِيرُ بِي نَاحِيَةَ الْغَبِشِ
حَيْثُ بُوَسَّعَ الَّذِي ذَابَ فِي الْغِيَمَاتِ
أَنْ يَزْدَرِدَ الْجَوْعَ .

الخيال الطريد

أن تكتب القصيدة وتنسى أمالي ذاتك خارجها .
أن تتحدث إلى ذاتك ولا تعرف بأي اسم وضمير يشرف العصيان .
أن تركض بسرعة البرق ورجلاك تبردان في نهر لوفيرونزا .
أن تتأمل السماء وأنت لست أقل من غصن يتهادى بوقت إضافي للثمرة .
أن تطوف حول قاف ومن عينيك يبرق تمثال مهشّم .
أن تصعد إلى جبل السيّمورغ كالمسرّتم فاته أن يرى وجه معكوساً على
ماء جرّة .

أن تضرب بين الأدغال بالأجنحة التي من وحي شمعة .
أن تكون قطعتَ تواريخ وشعاباً وأنت في مكانك من الحيرة .
أن تتخيّل ولا تتذكر سوى خيال نملة عند الغروب .
أن تُتأتى بالحروف كأنك -بغير قصد- تحدث مَغصاً للظلال .
إنّهُ الشّعْر،

يا صاحبي؛

وهو أخ غير شقيق للزّهايمر،

وزميل الخسارات

وطريد المدينة الفاضلة .

تطواف

شبيهَ النَّهرِ

يلفظ

بالرُّوى

والجوع

والأَسْفَارَ

عبرنا شارع الآلامِ توأ

لم يكن في نيّتي ذكرى (عبرنا شارع الآلام).

كنتُ قرأتُ شيئاً من قبيل الفهم

أن بقيّة المعنى التي ضاعت

تُرْجَعُهَا خُطى العثرات؛

نَقَّالَاتُ مَرْضَى في رِخَاءِ النُّونِ.

من الأطراف كم باباً عليه:

أولّوا الرُّوْيا إذا تَهَتَّم.

هنا- عرقُ الأيادي وحده

يتقدّمُ الأَشْهاد

منحدرًا إلى السَّاحات عَفْوَ البال،

والجدران تطعمها الرُّوى والجوع والأصداف.

يصدقُ مثل هذا: سَعْفَةُ تَتَزَوَّج الطُّوفان،

والأسماءُ تبرق من قرار اللَّيْلِ

مثل عطالة الإبريز.

أسمع من يقول بعكس ذلك.

أين نحن الآن؟

ينشد طائرُ الدُّوريِّ: هَا هُمْ هَا هُمُ !

كم واجباً -يا صاحٍ- في أعناقنا

حتَّى يُرافع طائرٌ في حنْطة الرُّؤيا

ونبذرُ نَحْنُ يَأْسَ النَّارِ؟

ذوو السّيقان الدّقيقة

نحن

-ذوو السّيقان الدّقيقة-

نشقّ في المطر إذا تأخّر،

لأنّنا عن بُعد

نستشعر عزلة البذرّة.

إذ نُطيل الوقوف

يحنو علينا

نباتُ الخيزران؛

تشتبك غابة الأحزان.

يظللّنا الغمام،

وتضحك أجران الموسيقى

إذا أطلقناها للريّح خيَط الطّائرة الورقيّة،

نحن ذوو السّيقان الدّقيقة.

منذُ ورون للبشارة،

تحوّلنا

إلى غَيِّماتٍ

بشُعُورٍ

طويلة

تتبسطُ

مع شهوة السَّهل،

ثُمَّ تحصدُها

رحى الكلمات.

نحن

ذوو

السيِّقان

الدَّقيقة.

الرائحة

كُلَّما هطل المطر بقوَّةٍ
وكنس الأتربة والحصى
وأوراق الشَّجر والمتلاشيات
وأغراض المشرِّدين ومِرَقِ التَّلْفيفِ
و"مانشيطات" صحف الوطن
وأحذية البلاستيك اللّامعة
إلى الوادي الحارِّ
حيث تتدفَّق قاذورات الضّاحية،
ننسى أن نسأل أين راحت
ولا كيف تبخَّرت
دون أن نشعر بها،
نحن خريجو أضواء النيّون.
الذين كانوا يقابلوننا
من الرّصيف الآخر
بباقات وأعمار حدباء،
أو الذين يأتون من آخر النّفق
وعيونهم تلتمع بأذى غريب،
سرعان ما يَلْتَمُونَ

وحداناً و زرافاتٍ
تسبقهم إلى حتفهم
- بلا تأفّف،
وأحياناً،

على حين غرّة -
رائحةُ الحبر الجافّ.

خرج للتو

مدينة بلا باب.

مدينة أشباح تقعات على صكوك الغفران وعائدات الصحف القومية.
مدينة لحافظ إبراهيم بالملومية التي أخرت سقوطي مائة سنة أخرى،
وبالصمم الذي وافق لثغة الضاد.

ماذا في وسعكم أن تفعلوا بي؛ أنت ونظراؤك من ملتقطي الزؤان والذهب
المُموه وناشئة الليل؟

أنا البحر انحدر مع صدقاته إلى أشد القيعان حُزنًا.

أنا الجاثية سخرها من ثوبها المرقع ورموها بعقم الأزمنة في أسلوب
الوصل والفصل.

أنا الشُرْفة لم تنبت على حواقيها سوى نباتات الصبار اليابسة
التي عليها أسماء شهدائي من الأطفال الذين لم يولدوا بعد،
وأسماء شعرائي من مرتادي المجهول الذين لم يكتبوا بعد،
وأسماء أنبيائي من الحفاة الذين لم يُبلغوا رسالاتي بعد.
عندما تغرب الشمس على علامات الترقيم، أذرع الظلال.

أخفض صوت سرّي المسجوع وعيناي على ما تبقى من حبلي السري
الذي ينتهي بي إلى أطلال "الدخول وحومل".

على صفارات الليل،

أطل وفي داخلي آنس بأسراب التّم.

لكن لا أستجدي فتات المعونات الدولية من غير الناطقين بي
على موائد التتار.

والهكسوس والإنكشاريون
وأحزاب المجمع الكهنوتي
ومُثَقِّفو الأُمَمِية ونهاية العالم،
لا يعنون لي شيئاً.
لا شيء أبقى لي
حين أخلد إلى وسادتي العدم
من نهر الأخطاء الذي يعتصرني
لبناً في رحم كلِّ عاقر،
بينما أنتِ تحدِّقين
عبر أُمِّيالٍ من القشِّ الموحد
ولهاثٍ نقط الحذف
في وجهي الذي خرج للتو
وهو يذرُعُ مزهواً بِأَسْمَكِ
عددَ الرُّمالِ وعددَ السَّرَابِ
وهداتِ النَّسيانِ.

No comment

أنا لا أبكي القدس.

هل يصحُّ لأبقي من السَّلام الكاذب مثلي
أن يحزن لسماع قصَّة امرأةٍ تُركتْ وحالها محاطةٌ بالسَّلاسل والخناجر
المسمومة، تلبسُ السَّواد وتلحق جراحها وراء الأسوار واللِّالي، ثُمَّ يُحتال
عليها بِلَوْنِ الدَّم؟

أنا أبكي نفسي؛ لأتَّى لم أعرف كيف أزيح عن كاهلي الصَّغير
أكوام الشَّوك التي أقعدتني دونها،
وحالت بيني وبين ظلِّي
إلى العتبات المزركشة التي نسيتُ عليها وجهي.

القدس ظلَّت في عينيٍّ بخير وصحة جيِّدة.
تأخذ دواءها بشكل منتظم،
ولا تنسى أن تُرطبَّ لسانها بالأذكار والقدر المحلَّى
أكثر من ذلك، تُخرجها بناتها الثلاث
نهاية كلِّ أسبوع
في نُزْهةٍ للصَّيْد وإنشاد الغائب،
ثُمَّ هي تلقي ثوبها الأبيض على ضفاف نهر الأردنّ

بمراى الأمّهات اللّائي شهدن لها بالبِنوة،
وقد تبتاع حوائجها وملابسها الداخليّة من أسواق مكّة
للحجّ إلى جبل طور.

كذبوا كلّهم عليها
حين شوّوها صورتها التي ورثتها
عن حور الجنّة قطعّة قطعّة،
ورموا بها مثل عظمة للكلاب المسعورة.
ونحن -أيضاً- نبَحْنَا.
وحين أشاعوا أخبار قتلها وسحلها
بأيادٍ مجهولة،
جاؤوا بنا كشعراء الأرض المنكوبة
لرثائها بقصائد خطائيّة طويلة
تحي باللائمة على الشّيطان.
كذبوا منذ ما قبل التّاريخ،
ومازلنا إلى هذا الزمن الدّمّل
نقتسم الغنائم والسّبايا بِأَسْمَها
ونسَمَل عيون الله.

أنا لست رَقَمًا سهلاً على جدول أعمالكم؛
أنا الحبر الأسود الذي تُوقَّعون به عاركم،
والفاصلة الملعونة التي بين بند وبند،

والسَّجَّادُ الأحمر الذي تأخذون فوقه صوراً لجثثكم العفنة،
وصرير الأنخاب على موائد سهركم البطوليّ،
الذي يصمُّ الأشجار عن أن تطلع شوهاء.
الدمّعة التي انسكبت حرّى في محجر الفجر
مثل نصلٍ لامعٍ، ومرقت في بلاد بعيدة،
هي ما أذكر به اسم فلسطين
وأنساه في داخلي ليكبر على الجدران
وفي قصص الأطفال مثل حُبكة الشجر.
حين أسري إلى نهار الغيمات
ستكون لي جديلتاها التّملتان
من حدوة قمرٍ يموتُ من الضّحك.

أوقات ضائعة

أقرأ في الصحف كل يوم شكاوى الناس من الوقت الضائع؛
وهذا خطأ.

الذين احترقت أطراف كعكة عيدهم بنيران الفرن،
قالوا: "هذا نحس! لقد اسودَّ اليوم الذي جئنا فيه".
الذين نهضوا مفزوعين من الكوابيس،
قالوا: "هذا حلمٌ بائت! صارت شرفاتنا بلا لون".
الذين لم يكسبوا من الثقافة وظهروا مثل شُذَّاذ آفاق،
قالوا: "الفكرة صارت أضيق من حبة فاصولياء".
الذين ضحوا بكل شيء وباعوه بثمن بخس،
قالوا: "جئنا في غير وقتنا".

الذين ظلوا مطأطئي الرؤوس، وهم يكظمون غيظَ قرونٍ سحيقة،
قالوا: "ما لنا والتقويم بحبات الذرة".
اللائي وقفن بمرأى مشاهد إغراء طبيعية وعزف منفرد لقطيع الليل،
لم يقلن شيئاً، فقد فاتهنَّ أن يعددن مُتَّكاً للفرار.
الذين عادوا من الحرب، وجدوا الجثث سبقتهم إلى سرادق العزاء
بعرائض طويلة.
الذين جنحوا إلى السلم، نسوا أنَّ النار الهادئة أتت على تركة الشهداء.
وهذا خطأ..

هذا خطأ .

الوقت الضائع هبة المفقودات، أو التي تبخّرت بعد أن ضاع منها العنوان
إلى غير رجعة.

وَقْتُ ضائعٌ أن تكتب بممحاة يدٍ عالقةٍ في الهواء.

وَقْتُ ضائعٌ أن تقود طفلك إلى باب المدرسة وتجد في طريق عودتك
الظلالَ التي حادت عنك.

وَقْتُ ضائعٌ أن تعرى امرأتك وتعرفك من القبل التي دسستها بين
الشيئات.

وَقْتُ ضائعٌ أن تكتب سيرتك الذاتية وتكتشف أن النسيان هو من كتبها.
وَقْتُ ضائعٌ أن تسمع الموسيقى وسط الرمّاد، ولا تتنازل عن حفيف
الثمار قيّد أنملة للنشيد الوطني.

وَقْتُ ضائعٌ إذا تتبعت النظرات الضائعة في عمق الغابة.
وَقْتُ ضائعٌ أيضاً

إذا ضاعت الأزهار في وقتٍ ميّتٍ

وتدفقت بالأسرار في حوض أسماك بعيدٍ

عليه أسماء من ماتوا عطاشى بجريرة الإنسان.

وفي قافيةٍ أخرى..

هؤلاء-

بعطلٍ فنّيٍّ أو بآخرَ
ماذا يريدون من المغرب؟
وقف الظلُّ في المنتصف
بلا نيّةٍ في النّوم.
قريباً، تنهّدت رومانسيّةٌ
نُسيّت في حقيبة غير جليّة.
ومن أعلى قليلاً،
سُمع غناءً بلا اكتراث
لجمهرة نساء يتلاغين
في موضوع شفط الزيوت.
الزّمان الذي يتقدّم حثيثاً
يُصاب بوعكة،
وقيل بنأمة من تويجات
في يد فارٍّ من المسؤولية.
ربّما الحلّي الثّقيلُ
من يتلف القرائن
في خطّو واثق.

كَمْ السَّاعَةُ الْآنَ؟
كثيرون مثلك
أيُّها الحمام الزَّاجِل
قد سألوا الوديعة بجديَّة،
فتبخَّرت نظراتهم من سنِّ اليأس.
ماذا يريدون -حقيقةً- من المغرب؟
أنا أسأل فقط!
لقد بقيت الشَّمْسُ
كُلُّ هذا الوقت
تضحك لِمَارَّةٍ فِي طَرْقِ عمياء.
لكنَّ الأمل قليل الحياء
أخذها من قَرْنِهَا إلى نكتة مجهولة،
ولم يَرَفِقْ بالوردة
تحترق في ماء الأَبْسُو
حيث لا نعرف إلى الآن
من أين يطلع
نبتُ الزَّفُوم
وأنينُ القافية؟

عيناه في الهواء الطلق

في العام القادم،

عندما أعود

إلى مقهى زهرة البستان،

سوف يُخَيِّلُ إِلَيَّ أَنَّ كُرْسِيَّ مَكَاوِي سَعِيد

قد أعشوشب

وَأَلْتَفَّ -مِثْلَ أَفْعَى- عَلَى سَارِيَةِ الرَّخَامِ

الَّتِي تُطَاوِلُ بِنَايَةً مِنْ عَصْرِ النَّهْضَةِ

حَتَّى أَثْمَرَتْ نَوْعًا غَرِيبًا

مِنْ حِكَايَةِ الْأَرْضِ.

وَيُخَيِّلُ إِلَيَّ

أَنَّ دُخَانَ سِيَجَارَتِهِ عَلَى الْعَالِي

يَغَازِلُ امْرَأَةً مُقْعَدَةً وَوَحِيدَةً

فِي الطَّابَقِ الْخَامِسِ.

وَيُخَيِّلُ إِلَيَّ

أَنَّ الْبِيرِيَّةَ

تَتَهَادَى طَوَالَ النَّهَارِ مَعَ رَوَائِحِ الْهَوَاءِ

فَتَتَدُّ عَنْهَا كَلِمَاتٌ مَزْمُومَةٌ

بِالْخَلِّ وَالْأَنَانَسِ.

لا تقلّ لي بأنّ هذا مُجرّد هذيان

تحت إفلاس الشّعور بالحزن.

لقد سمعت منذ أزمنة سحيقة

من كثيرين ماتوا قبلي

أنّ المكان تملؤه روح الإنسان

إذا فارقتَه وانضمَّ إلى جوقة موسيقاهم الترابية؛

فكيف

بالروح الذي بقي طَلَقاً أن ينسى،

وعيناهُ إذن-

في الهواء الطَّلَق !

طوفان

غادرنا وهو في أوجه
كما شرود الجبل في أوجه
وتفوه التارنج في أوجه
ونواح "البلسون" في أوجه
وضجر الكرم في أوجه
وارتياب الغيم في أوجه.
لما مشينا وراءه،
حملقنا في أعين بعضنا البعض
مشدوهين لمراى الريح
وهي تشق طريقاً ضبابيةً
تتراءى لنا من هناك،
ثم طفا الماء
وانحدر
بنا
إلى
القافية.
هكذا،
إلى اليوم

الأثر

هو

مُجَرَّدٌ

فُ

قًا

عا

ت. ٖ

ملوحة

الدمّعة

في عين المرأة

محارة؛

تصعد

وهي مالحة.

الدمّعة

إذ تتّشح الكحل،

زبرجدة.

الدمّعة

ذات الرائحة

تعكس اللّباس الدّاخلي.

التي هبطت

الدمّعة عينيها.

الرَّسْمُ بِاللَّوْنِ الْعَصْفُورِيّ

فِي أَيِّ مَكَانٍ

يَنْزِفُ دَمَ الْعَصْفُورِ الَّذِي أَهْوَى

مَغْدُوراً بِهِ؟

*

أَيُّ الْهَوَاءِ الَّذِي يَجْرَحُ شَبَابَتَكَ؛

بَخَارُ الْقِصَائِدِ،

أَمْ غَرْغَرَةُ الْغُرْقَى؟

*

الْعَصْفُورِ الَّذِي يَنْقِرُ النَّافِذَةَ،

هَلْ جَاءَ يَبْحَثُ عَنْ شَيْءٍ فِي الدَّخْلِ؟

كُنْتُ مُشْغُلاً،

وَأَطْرَافِي دَخَانٌ.

*

كَاسَيْتُ قِصَائِدِي الَّذِي أَرْسَلْتَهُ إِلَيْكَ،

كَانَ يُهَرِّبُهُ إِلَيَّ عَصْفُورُ اللَّيْلِ

فَأَسْمَعُ نَوَاحَ الْكَلِمَاتِ الْمُنْبُورَةِ الَّتِي نَسِيتُ

أَنْ أَقُولَهَا لَكَ جَهَاراً.

*

عَالَجَتْهُ بِالْقَوَائِي مِنْذُ أَنْ يَنْسَا

حَتَّى سَمِعْتُ لَهُ صَوْتاً يَدْنِدُنُ فِي سِرِّي.

فقلتُ: عسى العصفورُ..

قال: عسى!

صفحة وأخرى..

عندما تذيع ألسنة النار
في الشُّعر الموزون،
فهل تستجير الكلمات بالعروض؟

*

الصفحة المسوَّدة بركة نمل.
الصفحة البيضاء جبل عائم.
الكلمات تنطُّ في صفحة النُّثر.
على الصفحة الشعرية،
تُقسطُ صرخاتُ الولادة.

*

وجَّه الصفحة الذي خرَّقته إرباً إرباً،
ما ذنب ظهرها؟

*

الذي يبدأ من الصفحة الرابعة
لغلاف الكتاب،
وينتهي عندها؛

هل يهمله سعر الفائدة؟

*

ما إنْ تتكدَّس في سلَّة المهملات،
تتآمر على الكاتب
عندما ينام،

تلك الصفحات المجهضة.

*

الصفحة الشعرية التي ترقشها يد الشاعر

تظلُّ أبداً

على دين المحو.

IV

مَاذَا أَعْدَدْتَ لَهُمْ، يَا وَهْمٌ؟

ابتلاء

أَوَّلَ بَيْتٍ شَعَرَ سَمِعْتُهُ فِي طِفُولَتِي
كَانَ عَلَى وَقْعِ الدَّوِّ فِي جَوْفِ الْبَيْرِ،
وَلَمْ يَنْقَطِعْ تَرْدَادُهُ بَعْدُ.

استدراك

لَوْ فِي وَسْعِ الْيَأْسِ أَنْ يَبْطُلَ اللَّعِبَةُ،
لَقَالَ إِنَّهُ مِنْ اخْتِرَاعِ الشَّعْرِ،
لَكِنْ لَا وَقْتُ لَهُ.

انعكاس

القمر مختارات لأجمل أشعار الأرض.
إذا أقمرت لَيْلَةٌ مَا،
فَأَعْلَمَ أَنَّهَا لوداع شاعر.

سطحية

ماذا بعدك من الشَّعر،
ومن دعاوى الما بعد،
إذا كان لسطح صَوْتِكَ النَّاعم الرِّقيق
فَعَلُ الحبوب المهدئة للأعصاب؟

احتلال

شجرة الحلم تتوء بالثُّمار:
شاعرٌ مات للثَّوِّ
مُنْتَشِرٌ فِي ظلالها.

غربة

يا شجر الممرِّ المصمَّت،
ها ظلالُ أغصانك تتلوَّى عليَّ
مثل أفاعٍ ومواعيدٍ ضائعةٍ؛
أين يختفي ظلِّي،
وأحياناً يتخلَّى عني؟

خذلان

لا تقلقي إن تأخروا
على غير عادتهم،
فالموت يأخذ وقتاً،
والنَّجْمَةُ التي غارتْ
خذلتْ لَيْلَهُمْ.

تدوير

رأى النُّور،
وعاش للدُّخَانِ يَكْنُسُهُ من الدَّاخِلِ،
ثُمَّ فُغِرَ فَاهُ للموت.

صلاة

أسمعه دائماً
يقول: "هناك"،
وعيناهُ معاً
لم يرفعهما
من الأرض.

معافاة

طوال الحياة
نأخذ أمّصاًلاً يَقْطِى،
حتى يأتي الموت على حين غفلةٍ
فنشفي منها.

تأتاة

الشعر الذي تمتّت به
ذات جرح،
لم يلتئم بعدُ في جملة.

فروض

الدّمّ فرض عين.
التّورّة فرض "كفاية".
والكينونة على أحوالها
فريضة الشعر.

صكّ اِتهام

منذ الأبد،
ماذا يريد الظلام
من اللّيل؟
هكذا، مُتّهمين بالغموض إلى الأبد.

الدّالية

أيّها اللّيل،
أين نجد النّهار
فنشرب معاً
من دالية العدم؟

ابتلاء

تأتي القصيدة بغتة؛
كأنّ بها لهفاً إلى الأكل،
ودهرًا من العطش.
ماذا أعددت لها، أيّها الوهم؟

مساواة

النَّهَارُ عُنْصُرِي،
ولكنَّهم سَوْدٌ عَلَى بكرة أبيهم
شعراءُ اللَّيْلِ الكَثِيفِ.

سينما

الصُّورُ التي نَسَحَّتها بِخَطِّ اليَدِ
من كَرَارِيسِ الشَّعْرِ،
تُزَوِّرُنِي فِي الأَرْقِ،
وتُحْكِي لِي النَّهَارَاتِ التي قَضَيْنَاهَا مَعاً.

رتق

أَيُّهَا البَحْرُ الَّذِي يَنْنُ بِمَا فِيهِ،
مَوْجَةً وَرَاءَ مَوْجَةٍ،
مَنْ يَقْرَأُ الكِتَابَ
وَيَرْتَقِ أَصْلَ الشَّهْوَةِ؟

نوتة

عندما ألقى بالقصبة في البحر،
تحلّلت أطرافه؛
فالأرجح أنه سمع
نشيد الغرقى، وفاض.

حيرة

أيتّها الرّيح، لا تلعبى بستارة النّافذة،
وبالظلال على جدران غرفتي؛
فإنّ أحلامي قد نامت
ولا أعرف أيّ طريق أسلك؟

انطفاء

أيتّها النّجوم،
إلام تلتمعين؟
اللّيل لا عهد له،
والعيون التي حدّقت فيك
قد أمتلأت بالتّراب.

نبوءة

أثناء القصيدة يمتخضُ تاريخُ حزينٍ:
لم يصدق من نبوءات الشعراء شيءٌ على الإطلاق،
ولا انفرجت الفؤهة العظيمة.
سيعجم التاريخ عندما يتراخى الوتر،
الوعد أولاً، ثم تليه صفارات اللسان.

عطش

ماذا في وسعهم أن يصنعوا
أكثر من الذي كتبوا
على زجاج العالم،
وفي نيّتهم أن يشربوا!

سرّاب

الذي أعطش الشعراء
وماجَ بأنفاسهم الحرّى،
هل هو السّرّابُ الذي نسمع خريره بين الكلمات؟

عمارة

بنى بيتاً من ثلاثة أدوار؛
مخزن أشعار أرضي،
ورثتين بألوان الرمّاد،
وشُرْفَة للريّح.

قسم

وجدت الشّجرة النّديّة تطيرُ من الفرح؛
قالت لي: المطر حبيبي،
فلن أعرى إلّا له
وأحلف له بأغصاني الغليظة.

استعارة

إذا التّوّبة رغبت في أن تتدم،
فمن أين
تستعير الأصابع؟

تأويل

تُرى، متى ستنتهي تلك الطُّرُقُ
التي نُسمِّي بِهَجَّتِهَا حُزْنَ الإنسان،
وننسبُ إليها سيرة الضياع؟

إخلاف

الصَّمْتُ يخلف موعده دائماً
مع الكلام،
كأنَّه يطلبه لشهادة زور
أو إبراء ذمّة.

قصيدة وصوليّة

فَرَحْتُ بالبروفة الأخيرة،
ولم تُفكِّرْ في الكلمات التي شُطِبَ عليها،
ولا في النَّفْسِ الذي تَقْطَعُ إِرْباً إِرْباً.

وفي رواية أخرى،

يموت الشاعر،
والقصيدة لم تفرغ بعدُ
من تصحيح بروفاته.

القرين

ما إن يخرج
حتى يُلقِي نظره في المرأة
لصق الباب؛
يخاف أن تضيع منه قدماه.

منشور سرّي

في مثل هذا الوقت
خرج وحده مائلاً رثّيه بالرايات،
وعاد مع الظلام.

غروب

عندما تشرق الشمس،
إلى أين يذهب الفجرُ
والشفقُ
والضبابُ
والندى
وغناء الزيزان؟

تلويحة

من طوفان النهار الزائل
أرى من يلوح لي بيديه
وأحياناً يصفر؛
هل يكون الطريق التي واصلت السير؟

ولغ

تُرى،
متى تنتهي الطُرق التي تُحرّف الإنسان عن مصبّ القلب،
وتشرب معه من أعمدة الدخان؟

Haut du formulaire

Bas du formulaire

ذوبان

أدرتُ ظهري للسُّعال الطَّويل الذي يصل مع الزَّبد،
ويممتُ بوجهي البحر؛ وجه أمِّي
حيث الهدير ليس سوى اللسان المقطوع
للحقيقة التي ذابتْ في كتبان الملح.

خلود

جوار المكتبة-
تلعب الرِّيحُ بستاثر النَّافذة ليلاً؛
أجزم بأنَّ الأغنية
هي لروح أحدهم
أفاق من قصيدة
ترجعُ إلى ألف سنة ونيّف.

الناسخ والمنسوخ

كلّما نمتُ جوار المكتبة
شوهدتُ في بابل
أنسخُ يأس الشعر
على خشب القوارب الضائعة.

حفيف

ما إن نستجمع القوى
ونرهف السَّمْعَ ملياً
حتى تتبدّد الأصوات التي هنالك،
ثم نتأسّى بالحفيف.

رماد

بقلم الرصاص
كتبوا كلّ شيء في داخلهم
وهو يحترق!

انفعال

أعمى من لم يرَ.
لكنّ الشّاعر منذ أن رأى، وهو أعمى:
إنّه ينتشر ذرّات
كي ينفعل الضّوء!

برزخ

القبور المعشوشبة
إنّما لأجساد حملت معها الذّكريات؛
فهي تتحلّل
لتزهر حذاءها الأبدية.

شفافية

أيتها العيون التي تدمع بالحقائق،
ما لَوْن الدّم؛
فهذا الشّعْر
آخر الشُّهود وسيّد المحبطين؟

وفاء

قد تنقطع الأمطارُ سنينَ عدداً
وتكفر الغيومُ بوعد الأزهار،
لكنّ النّهرَ لن ينسى مجراه.

ما الشعر؟

يا للورطة!
حتى صادفتُ طفلاً يرسم الشَّمْسَ بالطَّبَّشور
وينفخ فيها،
وآخرَ يرسم عُصْفُوراً بالألوان
ويحركُ جناحيه.
أنا - بينهما -

طائرةُ ورقٍ بِأَسْمَاءِ الفراق.
*

يزورنا الشعر
مثلما يزورنا عصفورٌ مهيضُ الجناحين،
لكنّه ما زال يرفرف.
*

الشعر ليس شيئاً
إذا لم يلتقط الصرّخة التي أطلقها أحدهم
في مكانٍ ما.
*

الشعر مثل الهواء؛
إذا داخله اللونُ اختنق.
*

وجدتُ الشعراء
يدفعون إلى اليأس أقساطَ الأمل؛
فكمّ بعيدٌ وموحشٌ
طريقُ الإنسان!
*

الشَّعْرُ فِي قِصَائِهِمْ أَنَّهُارٌ تَتَدَقَّقُ حَتَّى فِي أَزْمَنَةِ الْعَطَشِ وَالرَّمَادِ، لِأَنَّ
لَهُمْ نَسَبًا كَرِيمًا يَتَّصِلُ بِأَصْلِ الطُّوفَانِ؛ وَهَذَا وَحْدَهُ مُبَرَّرٌ نُوَاحِهِمْ.

*

إِذَا مَاتَ شَاعِرٌ
تَرَجَّلَ مَعَهُ حَقْلٌ مِنَ الصُّورِ وَالِاسْتِعَارَاتِ
وَسُمِعَ لِلتَّوْ حَفِيفُ الْغَابَاتِ.

*

الْقَصَائِدُ وَعَدٌ.
أَنْكُتُهُ دَائِمًا،
كَيْ يُحِبَّكَ الشَّعْرُ.

*

آاااااااااا،
أَحْرَقْنَا إِلَيْكَ
كُلَّ الْأَشْرَعَةِ،
وَلَمْ نَصِلْ بَعْدُ!

*

الشَّعْرُ فِي كُلِّ مَكَانٍ،
وَالشُّعْرَاءُ أَخْطَأُوا الْقَصْدَ
عِنْدَمَا أَرَادُوا نَقْلَهُ.

*

بِمَ كُنَّا سَنَكْذِبُ عَلَى الْعَالَمِ،
وَعَلَى تَيْنِكَ الْعَيْنَيْنِ،
لَوْلَا الشَّعْرُ؟

*

جَمِيعَ حَقُوقِ تَعَارِيفِ الشَّعْرِ مَمْلُوكَةٌ لِلدَّوْلَةِ،
إِلَّا شَعْرَكَ فُلَيْسَ يُورِثُ أَوْ يُؤَمَّمُ،
يَا سُعْلَةَ الْغَابَاتِ؟

*

الشَّعْرَ عَطَشٌ،
ولكنَّه غير قابل للارتواء.

*

وإنَّ تَعُدُّوا
حيرةَ الشَّعْرِ
لا تُحْصَوْهَا.

عُصْفُورِي وَوَعْدِ الشَّعْرِ

سَيَّاتِي

بِاسْمًا

مِثْلَ اعْتِذَارِ الْفَجْرِ

مِثْلَ الْغَيْمِ

يُطْلِقُ ظِلَّهُ فِي الْأَرْضِ

أَوْ يَمْتَدُّ

مِثْلَ النَّبْرِ

حِينَ يَطُولُ صَمْتُ الْمَسْرُحِيَّةِ

دُونَمَا دَاعِ ضَرُورِي

يُسَوِّي كُمَّ وَرَدَّتِهِ

وَمِثْلَ الْبَرْقِ

يَصْطَحِبُ الْفَرَاشَ

إِلَى نَبِيٍّ مَاتَ

سَيَّاتِي

وَحْدَهُ فِي نَوْمَةِ امْرَأَةٍ

تَرُدُّ بِمَنْكَبَيْهَا الرَّمْهَرِيرَ

وَفِي الصَّبَاحِ

تُرَافِقُ الْأَطْفَالَ

حَتَّى النَّبْعِ

ثُمَّ

يَغِيبُ فِي مَا آتَ

سيأتي
من بلاد الجوع والطوفان
يحملكم رؤيا
يبث الأبدية نار إيثاكا
ويسأل حفلة الدم
عن بريد الذات
سيأتي

بالمناشير الحداد
يطوف غابات الرماد
وفي عمى الألوان يهتف:
لأت يشفى.. لأت
سيأتي

دائماً في الحال
يسأل أين هذا الشعر
ثم عليه يطبق
تيناك العينين
في صمت
ويقراً
سورة اللغات!

الفهرست

- 7.....سيول
- 8.....الشعر كما رأيته
- 10.....سرقة النار
- 11.....عاشوا بنوايا الإوز
- 12.....على شفا ليل
- 13.....الكينونة والنسيان
- 14.....حتى آخر سطر
- 15.....الشعر سؤل لهم
- 18.....بريد عاجل إلى بدر شاكر السياب
- 20.....ما لم تقله لي فدوى طوقان!
- 22.....رسائل تحت تمثال الحرية
- 25.....الزبد
- 26.....Et la poésie coule
- 27.....أسميني شاعراً بالجوع
- 28.....الاعتراف ما قبل الأخير
- 31.....ذلك البعيد... صوّتي
- 33.....أترك الحلم مفتوحاً

- 35.....شعر القسوة.
- 36.....Chaos
- 37.....المياه تضحك من وجه أمي.
- 39.....أين تذهب الأمطار وقت الانقطاع؟
- 41.....يسبقني عمى الخُلجان.
- 44.....تلويحة من الأسفل.
- 46.....صانع الإطارات.
- 48.....حلم صيف في القاهرة.
- 52.....فصلٌ هزليٌّ من كتابِ أمور.
- 54.....السَّاعات.
- 56.....يصقلون ظلال الكلمات.
- 57.....لماذا أكره قصيدة النثر؟
- 59.....الشَّعر ليس موهبة.
- 60.....أن تزدرد الجوع.
- 62.....الخيال الطَّريد.
- 63.....تطواف.
- 65.....ذوو السيِّقان الدقيقة.
- 67.....الرَّائحة.
- 69.....خرج للنَّوَّ.

71.....	No comment
74.....	أوقات ضائعة
76.....	وفي قافيةٍ أخرى..
78.....	عيناه في الهواء الطَّلَق.
80.....	طوفان.
82.....	ملوحة.
83.....	الرَّسْمُ باللُّونِ العَصْفُورِيّ
85.....	صفحة وأخرى..
87.....	ماذا أعددتَ لَهُمْ، يا وَهْم؟
103.....	ما الشَّعر؟
106.....	عُصْفُورِي ووعدِ الشَّعر.

